

لقطات من مراحل التاريخ

المفكر المصرى الراحل سلامة موسى

لفت نظرى فى برنامج المكتب الثقافى المصرى لموسم محاضرات هذا العام اسم الكاتب الراحل سلامة موسى، إذ يتحدث عنه فى محاضرة د. فؤاد مجلى، وهو أستاذ أكاديمى وباحث مصرى يتميز بالحضور المعرفى والاطلاع الثقافى وله دراسات قيمة فى علوم التراث المصرى وإسهامات الكنيسة المصرية البارزة فى حقل الفكر والوطنية واستيعاب التاريخ والتعبير عن إرث بارز لخصوصية العقيدة المسيحية على أرض مصر.

وكان سلامة موسى من علامات فكر النهضة المصرية، وهو يشكل الضلع الرابع فى معادلة عباس محمود العقاد، د. طه حسين، وتوفيق الحكيم. ويتحدث عنه المفكر الراحل لويس عوض باستفاضة فى كتابه المهم - أوراق العمر - الذى كان فى الصفحات الأخيرة التى نشرها المثقف البارز قبل رحيله، حيث تحدث عن مكونات عصر النهضة المصرية مع بدايات القرن الماضى وطموح الحياة فى المجالات الأكاديمية والعلمية وبناء جامعة القاهرة ودرج جيل الرواد. وقد توقف عوض عند العقاد وطه حسين وسلامة فى كتابة انطباعات قلبية عن ثالث خاض معارك الفكر والتحديث والاشتبك مع التخلف والمواجهة مع التيار المحافظ الذى أراد تكبيل مصر بقيود عقيدة لمنع حركتها وحريتها.

ومصر تنهض ببعث تيار الحرية والانفتاح والارتباط بالأمل والغد. وقد تعلقت فى نهضتها الحديثة بمشروع التعليم وبناء الجامعات والاعتماد على إرث الوحدة الوطنية. وقد حافظ الالتقاء الوطنى على صيغة مصرية حمت الوطن من الصراخ الداخلى والخلاف. وقد حافظت جميع الحكومات على هذه العقيدة الوطنية من تيارات التخلف والطائفية. ومصر دولة موحدة قوية بنهضة شعبية ومستوى التعليم والحقوق المدنية التى يتمتع بها الشعب المصرى.

وكتاب د. لويس عوض عن «أوراق العمر» شهادة موثقة من مفكر بارز دافع عن الوحدة الوطنية ومسيرة البحث العقلى وارتبط بالتطوير الفكرى خلال مراحل حياته، وقد أسهم عوض فى إنارة الحياة المصرية عندما أسند له الأستاذ محمد حسنين هيكل الكتابة فى الأهرام وتولى القسم الثقافى به، وكانت معادلة هيكل البارزة جذب المثقف إلى نظام بوليف وجعل الأهرام المنبر المنفتح أمام أسماء بارزة فى عالم الثقافة والأدب والفكر.

وقد تجمع توفيق الحكيم مع نجيب محفوظ ود. حسين فوزى ولويس عوض فى مكان واحد، وخلال الملحق الثقافى الأسبوعى الذى كان المنبر المفتوح الحر خلال مرحلة حساسة.

ونشر نجيب محفوظ «ثرثرة على النيل» التي كانت توجه انتقادات لفلسفة الحكم آنذاك. وتولى «الأهرام» أيضاً نشر تجربة «بنك القلق» لتوفيق الحكيم، وقد حنر الأهرام «دور المؤسسة الوطنية العريقة في شكل نافذة الحرية الواعية في أدق مراحل مشروع النهضة المصري». واستمر هذا التقليد تحت رئاسة الأستاذ إبراهيم نافع، حيث توسعت مساحة الحرية والتعددية واستيعاب جميع الاتجاهات والأسماء من رجاء النقاش، حتى صلاح فضل وجابر عصفور، وجميع مجموعات ألوان الطيف المصري الفكري والأدبي والثقافي.

وطبيعة مصر هي التعدد والتنوع والارتباط معاً في حديقة الوطن. وكان كتاب لويس عوض قبل وفاته التاريخ لعصر كامل كشف فيه دور سلامة موسى الذي اختفى اسمه عقب رحيله على مشارف الستينيات وكان الكاتب الراحل أيضاً غالى شكرى قد خصص دراسة كاملة عن دور موسى في عصر النهضة والانفتاح على العلم والحياة وتولى منبر الدعوة الجريئة لتجديد حياة المصريين والكفاح من أجل مسار التقدم.

وتولى د. رفعت السعيد نشر حلقات مهمة من تاريخ مصر المعاصر. وتعرض لسيرة سلامة الذي تعرف في إنجلترا على مدارس الفكر المتطور وعاد إلى مصر يدعو إلى حداثة جديدة تماماً. تطول كل شيء وركز بشكل خاص على تنمية الريف المصري وإعطاء الفلاح حق العلاج والتعليم والمواطنة الحديثة التي تقوم على حقوق الإنسان كما نعرف ذلك الآن.

وآعطى الروائي نجيب محفوظ صورة فنية لدور سلامة موسى الذي كان ينشر مجلة في حقبة الأربعينيات بعنوان «الفكر الجديد»، تعد حلقات مهمة في تيار التحديث المصري. وقد انبهرت بعالم سلامة موسى عندما اطلعت على كتابه البارز «هؤلاء علموني» ويا ليت مكتبة الأسرة تعيد نشره في طبعاتها الشعبية الرخيصة التي أعادت الاهتمام بالثقافة وحركات التنوير وتيارات الحدائث والعقلانية وكتابات المدرسة الوطنية المصرية. ويعد هذا المشروع تحت رعاية السيدة سوزان مبارك من أهم الأحداث التي توفر الثقافة للجميع.

وكان التعرف على إرث سلامة موسى وكتاباته عبر التجوال اليومي بسور الأزيكية، الذي كان جامعة شعبية حقيقية تثقف أبناء الأمة بقروش قليلة وتوفر الكتاب في جميع فروع العالم بأسعار في متناول الطلاب والباحثين عن نور المعرفة.

وقد عثرت على كتاب موسى في وقت واحد مع كتاب المفكر المصري العظيم خالد محمد خالد، وهناك صفات مشتركة بين الاثنين تعكس قيم التنوير والحرية والدفاع عن حقوق التفكير والديمقراطية ورفض قيود الانغلاق، وقد التقت خالد محمد خالد بمنزله في منطقة المنيل، وقامت صداقة مع ابنه محمد الذي كان يدرس بالجامعة الأمريكية وانخرط في حركة التجديد الطلابي التي انطلقت مع نهضة التيار الوطني المصري بعد نكسة ١٩٦٧.

وكان الابن يتولى الإشراف على مجلة طلابية تصدرها الجامعة الأمريكية اسمها «القافلة». ونشرت بها مقالة عن الكاتب الفلسطيني الراحل غسان كنفاني. وقد انقطعت صلتى بدين خالد محمد خالد، الذي ذهبت إلى منزله للحديث معه عن ذكرياته ومواقفه بعد أن قرر الاعتزال في منزله عقب الهجوم الحاد عليه خلال مناقشات اجتماعات اللجنة التحضيرية التي عقدت في جامعة القاهرة. وبعد عودة خالد محمد خالد إلى الكتابة مرة أخرى اهتم بالتراجع عن مواقفه القديمة، فقد انتهى عصر التمرد الفكري والسباحة في تيار التجديد، وكان ينشر مقالات وأعمدة في جريدة كنت أعمل بها بلندن. لكنها كانت غريبة على حياته ومواقفه القديمة، كذلك لم تترك أثراً ما في حياة الناس.

وظل سلامة موسى في نظري الكاتب المجدد والمفكر الحقيقي المرتبط بنهج التغيير والبحث عن لغة جديدة والحديث بجرأة الإنسان، صاحب القضية والذي يدعو إليها بإصرار وقوة. وقد تراجع العقاد عن ثورة التجديد وأكتمى بكتابة سلسلة للبعثيات بعد فترة صاخبة من المعارك الحادة مع حزب الوفد ثم ضده وقيادة الفليان ضد مدرسة شوقي، واختار د. طه حسين المهادنة مع المجتمع المحافظ واهتم بالتجديد في مجال التعليم والجامعات وقد أصر سلامة موسى على نهجه حتى رحيله، وترك خلفه هذا الإرث الطويل من كتابات ومواقف ومعارك صاخبة على ورق النهضة المصرية التي بلغت أعلى مراحلها في الأربعينيات والخمسينيات. ودخلت في الستينيات إطار مشروع جديد تقوده الدولة وليس كيانات الأمة التعددية.

إن مصر في عهد ثورة يوليو الوطنية، هي الدولة بمسلكها البيروقراطي وفكر العسكرتاريا ونظام التحكم المركزي، حيث تعثرت في ظلالة حرية الصحافة وحركة الفكر وأسماء كبيرة في عالم الاجتهاد والكتابات الجديدة.

ويحكى نجيب محفوظ عن دور سلامة موسى والمجلة التي كانت ترحب بالكتابات الشابة وتشجع على الاجتهاد، ويرسم في قصر الشوق المقابلة مع المخكر المصري الذي كان يتولى أمر المجلة التي كانت حديث الحياة الثقافية والفكرية بطريقة المنتج الجديد وقد اندهش كمال عبد الجواد بطل الثلاثية المحفوظية من تواضع مقر مجلة سلامة موسى رغم الصخب الشديد لها في الحياة الفكرية والأدبية.

وقد مررت بالمشهد نفسه عندما زرت مقر مجلة أدب ونقد في العاصمة والتقيت الناقدة والكاتبة فريدة النقاش رئيسة التحرير وأدركت أن الإبداع وجلال الموقف ينطلق من صدق الدور وطبيعة المهمة الفكرية والأدبية، وهناك مجلات تصدر من مكاتب فارها لا يشعر بها الناس لأنها مزيفة.

ومجلة «أدب ونقد» من المنابر ذات التأثير البالغ وأتابعها منذ صدورها وعندما كنت في

بيروت وجدها تحظى بمكانة لدى الأدباء وأهل العلم، وحدث المثقفين في العاصمة اللبنانية عن إمكانات مادية متواضعة لمجلة بارزة بهذا الحجم والدور وراية التوير التي تنف تحتها. وكما احترمت فريدة النقاش لوجودها على رأس فريق من الأدباء والكتّاب الشبان في مكان بسيط ومتواضع للغاية لا يمكن أى تصور مقرر هذا المنبر المنتشر في جميع أرجاء الأرض ويتحدث كل شهر عن موضوعات من الشرق والغرب بمتابعة دقيقة معاصرة ولغة حديثة وإخراج فنى متفوق.

وكان سلامة موسى مدرسة تمزف على أوتار الجواهر وبناء نهضة محسر بتعليم أبناء الشعب وتوفير الرعاية والحرية والضمائن الحقوقية رغم أن مصر كانت في الأربعينيات لدينا جامعات ونهضة مدنية، غير أن النظام كان فنوياً لا يهتم بعامة الشعب مع أنهم عماد الوطن كله!

وقد ظلت كتابات سلامة موسى تدخل في تكوين المثقفين والأدباء لفترة طويلة. والحديث عنه في لندن يعيد جلال الصورة ولا ينفى الأجزاء المهمة في تكوين شكلها، ومن الأهمية أن تحافظ الذاكرة التاريخية على جميع وثائق عصر النهضة الذي انطلق بطموح الحرية والبناء والعلم والديمقراطية، وكانت سلطة الجمود في كل العصور الأقسى في مجابهة أهل الفكر والحرية بعضا القمع والسجن والاعتقال.

ولدى في لندن كتب فريدة النقاش كلها.. وما كتبه في كتاب دمتان ووردة، من وثائق عصر الدفاع عن حرية مصر والانتماء إلى مستقبلها خلال فترة السبعينيات التي انطلقت فيها الرياح السوداء الشديدة التامة.

وإذا كان سلامة موسى مؤسس تيار النهضة فإن أسماء بارزة خلال السبعينيات حملت الشعلة بإصرار حقيقى رغم العقاب الشديد وحملة التشريد ويرسم حسين عبد الرازق صورة بالغة النقاء لكفاح صحيفة مصرية في الأهالي خلال هذه الحقبة في كتاب له بعد المرجع المهيم عن مراحل هذه الفترة التي اشتبك معها هيكل في كتابه «خريف الغضب».

إن الحديث عن سلامة موسى في برنامج المكتب الثقافى المصرى في لندن يعد فئزة ميمة للغاية في إطار رسم صورة للتاريخ بكل الأجزاء، خصوصاً أن المحاضرة موجبة إلى جيميزر بريطانى يمه معرفة تأثير مفكر بهذا الحجم على تيارات الثقافة المصرية المعاصرة.

حديث ممتد عن محبة الشعب المصرى لأهل البيت

يحب المصريون أهل البيت، وهذه الحقيقة واضحة في جميع أوجه الحياة المصرية. ومكانة السيدة فاطمة الزهراء ابنة الرسول الكريم لامعة في وجدان الشعب المصرى، حيث تحظى بالتقدير والحب والاحترام، وفى القاهرة الفاطمية القديمة يحظى هذا الإرث بالتألق الدائم. وفى قلب هذه السلسلة الذهبية من أهل البيت يقع تاريخ سيد الشهداء الإمام الحسين فى بؤرة الوعى والتقدير والاهتمام الدائم فى حلقات من الذكر الطيب والاحتفالات بمولده وحياته وسجله الحافل لتصرة الحق.

ولدى الشعب المصرى عاطفة خاصة لأهل البيت من أبناء الرسول وأحفاده فى تبجيل مميز يعكس محبة الدين الإسلامى ذاته والالتصاق مع تاريخ الدعوة ومراحلها البارزة لإنصاف كلمة الحق على الباطل، وإعلاء من فضيلة العدل فوق الظلم والإجحاف. وتذكر الأدبيات المصرية مكان سيد شهداء أهل الجنة الإمام الحسين ودوره وتاريخه، ويعد الاحتفال بمولده من العلامات المهمة فى سجل الأيام المصرية المرتبطة بالإسلام ورجاله ودعوته للحق. وكتب الكثيرون عن تأثير أهل البيت على مجمل التاريخ المصرى ولدى التراث الشعبى العشرات من القصص عن الحسين والسيدة زينب التى لها مسجدها البارز والذى الذى يرتبط باسمها فى قلب القاهرة.

والسيدة زينب رئيسة الديوان وحفيدة سيد البشر، وفى تحظى بمحبة خاصة لدى المصريين ويأتى إليها من جميع عموم مصر الزوار يتطلعون إلى الصلاة فى مسجدها، ويحفل الفناء الصر فى المصرى بعشرات المدائح فى السيدة زينب التى تحمل الأسماء المختلفة والكلمات المرتبطة بها واسمها والعائلة الكريمة التى تنتمى إليها.

وقد كتب الأديب يوسف القعيد صورة قلمية مبهرة عن مكانة الست أم هانم فى وقع الحياة المصرية والحكايات الشعبية المرتبطة بمكانتها والذى يحمل اسمها الكريم. والتراث المتراكم على أرض هذه البيئة المرتبطة بأهل البيت جميعاً ومحبة خاصة لهم.

والمصريون يعملون دائماً فى إطار تقريب المذاهب وبناء الجسور. لأن العقيدة واحدة. والقرآن هو الذى يجمع الكل فى واحد لعبادة الله وتأدية الفرائض والالتزام بالسنة الشريفة. وكان شيخ الأزهر الراحل الشيخ محمود شلتوت وراء فكرة التقارب بين السنة والشيعية فى

دعوته التي وجدت الصدى في التقريب بين المذاهب وبناء الجسور والاتصالات المشتركة للاتفاق على الأسس العامة وجوهر العقيدة الواحد والثابت.

وأعداء الأمة لا يفرقون بين سنى وشيخى ويستخدمون لفظ الإسلام للتعامل مع أبناء الدين الواحد، ولدى الشعب المصرى تراثه الطويل فى محبة خالصة تلقى الفروق وتركز على الجوهر، ومصر عاشت حقبة فاطمية تعزز بها، والأزهر الشريف يرتبط باسم السيدة فاطمة الزهراء بكل تراثها ونسبها ودورها وقربها من الرسول الكريم الذى كان يملك مميزة خاصة لها.. فهى الابنة الوحيدة التى أمد الله فى عمرها وظلت على قيد الحياة بعد وفاة النبى ونصرة الإسلام وفتح مكة المكرمة.

وتاريخ السيدة فاطمة الزهراء باقة نور تطل على الحياة الإسلامية لذلك كان هذا الاحتفال الذى أقامه مركز الإمام الخوئى فى لندن خلال ذكرى مولدها العطر وسيرتها الطيبة المضيئة بالمحبة والهدى والإيمان،

ومركز الإمام الخوئى فى العاصمة البريطانية من الأماكن البارزة التى تحتفى بالعلاقات مع مصر والمصريين والارتباط مع الأزهر الشريف فى اتصال مع رجال وأئمة الدعوة.. ودائمًا هناك اتصالات ولقاءات مع مصريين عبر دعوات كريمة لتعزيز فرص التواصل والحوار المشترك والبناء.

وكان لى حظ اللقاء مع السيد عبد المجيد الخوئى قبل رحيله الفاجع، وعمل دائمًا خلال حياته على تأكيد جسور الاتصالات واللقاءات مع رموز أهل السنة ورجال الأزهر المصري، وكان لى شرف حضور اللقاء معه ورئيس جامعة الأزهر د. أحمد عمر هاشم الذى كان يزور العاصمة البريطانية، وكان صاحب الدعوة د. زكى بدوى عالم الدين المصرى الذى يقف دائمًا وراء اللقاءات الطيبة لمصلحة المسلمين ووحدتهم، وقد زار رئيس جامعة الأزهر مركز الإمام الخوئى: القلعة العلمية والمدرسة الدينية البارزة بمكانتها وتاريخ مؤسسها صاحب العلم والمعرفة الإسلامية الواسعة.

واحتفى مركز الإمام الخوئى بمولد السيدة فاطمة الزهراء فى لقاء دينى وأدبى يهيمه التركيز على مراحل الضوء فى عالم السيرة الإسلامية ورموزها وأهل التقوى والإيمان فى مرحلة تحتاج لاستحضار هذا التاريخ حتى يمكن التعامل مع الواقع الحالى للعالم الإسلامى. واختار المركز الشاعر والأديب المصرى د. حسن إسماعيل للحديث عن حب المصري لأهل البيت والمكانة التى يحتلونها فى قلوب المصري وحياتهم اليومية والمعيشية والإيمانية.

والشاعر حسن إسماعيل فتح الله قلبه وشعره للدعوة والحديث عنها والتغنى بفضائل صاحب الرسالة محمد رسول الله ﷺ، والشعر الإسلامى لدى د. إسماعيل يحتل بؤرة بيوانه

ونبض شعره. وهو شاعر فى رحاب المعرفة الإسلامية ويفضى أنوار العقيدة التى تبرق فى شعره ودراسته لأهل الدعوة وأسماء البارزين فى مجلد الكفاح الإسلامى لنصرة كلمة الله .
ألقى الشاعر المصرى الكبير المقيم فى بريطانيا قصيدة رائعة عن فاطمة الزهراء طافت بعالمها النورانى، فهى ابنة سيد البشر تنتمى إليه وإلى عقيدة الإسلام وارتبطت بكناف الدعوة وأعلامها وهى زوجة الإمام على وأم الحسن والحسين.

طاف الشاعر الموهوب والمقتدر بهذه الكوكبية المضيئة فى سماء الإسلام وتجلت الأخيلة الشعرية والإيتاخ الصوفى المدهش فى شعر هو أقرب إلى المنجأة الوجدانية فى حب أهل البيت وعائلة الإسلام وأسماء النور فى ملحمة طويلة تمتد إلى سبعين بيتاً من الشعر واللغة المحلقة فى أجزاء التقوى والإيمان.

ودائماً يبهرنى الشاعر حسن إسماعيل بهذه البلاغة المتألقة واستيعابه للتراث القديم ومراحل الشعر وتطوره من عصوره الأولى حتى عصر أحمد شوقى أمير الشعراء واستطاع الشاعر تطوير لفته فى منطق سلس يمس القلوب بالموسيقى العربية العظيمة والقدرة على البناء فى مجال الصور والأخيلة واستخدام ميزان الشعر بفصاحة موزونة وعبقرية .
وكانت سهرة باللغة العطاء مع سيرة السيدة فاطمة الزهراء فى أمسية للشعر والتقوى والإيمان.

حازت القصيدة ترحيباً كبيراً وتفاعلاً بالأجواء الروحية التى طافت بالسيرة العطرة لابنة رسول الله و تاريخها ونسبها لسيد البشر، وتجلت مقدرة الشاعر فى الإيجار المدهش خلال هذا العالم الذى يطل علينا من سماء التقوى وقيم الدين والشهادة فى سبيل الله .
يملك الشاعر الاطلاع الواسع على صفحات التاريخ الإسلامى والأسماء المرتبطة به. وقد استمعت إليه من قبل فى محاضرة حول قصيدة نهج البردة للإمام البوصيرى واطلعت على مدى المعرفة بتاريخ الدعوة والإسلام وحلقات الشعر المرتبط بالرسول وأهل بيته .. ويضاف إلى هذه الأوراق المهمة الاطلاع على محاور التاريخ المصرى ومكوناته الحديثة والأثر الذى يلعبه تراث أهل البيت والسيدة فاطمة الزهراء وحضورها فى قلب الوعى الدينى والتراث القيمى .
ويشكل التراث الصوفى. الوجدان المصرى فى محبة خاصة لأهل البيت، وكل تجليات المدائح النبوية تشير إلى هذا التأثير.

ويملك إرث الإنشاد الدينى مساحة خاصة تبرق فى طريق النور والكشف والمعرفة فى سماء محبة أهل البيت والتغنى بالفضائل والتضحية فى سبيل نصر الدين، وطافت قصيدة د. حسن إسماعيل بكل هذا الزاد النورانى فقامت بعملية إحياء ماهرة لإعادة زخم هذه السيرة إلى عالمنا المعاصر فى ظل هذا الاحتفال الكريم.

وكانت مبادرة الاحتفال من مؤسسة الإمام الخوئي تعبر عن التركيز البارز بالتراث وفضله والاهتمام بأهل البيت الكرام في مناسبة مولد السيدة فاطمة الزهراء .

وجاءت دعوة جمع هذا الحشد الكبير من الأسماء والشعراء والأدباء والمنتقنين للتفاعل مع ذكرى كريمة تحل علينا مع ظروف صعبة تمر بها المنطقة العربية والإسلامية.. وجددت الأمسية بينابيع القدوة والتغنى بالتراث الإسلامي وفضله في تجسيد قيم العقيدة وثوابتها والفضائل المحورية المرتبطة بها .

وكان اختيار الشاعر د. حسن إسماعيل تجسيداً لقيمته الكبيرة وحضوره الشعري البالغ الشراء، وارتباطه بإرث الإسلام وإعلامه وعقيدته ومراحل الشعر المرتبط بالدعوة وحامل الرسالة الرسول الكريم .

جسد اللقاء في مركز الإمام الخوئي بلندن الاحتفاء بالسيدة فاطمة الزهراء وتذكر سيرتها العطرة وتاريخها ونسبها الشريف وجاءت كلمة الشعر لتضيف وهج الكلمات إلى الاحتفال عبر عاطفة شاعر ينطق بحروف لغة القلب ومشاعر الإيمان والتجلى في سماء المعرفة النورانية النابعة من دين الحق والتقوى .

وما أجمل سماح شعر حسن إسماعيل وهو يتغنى بصفات الرسول وهدى الرسالة ومدح أهل البيت والتوقف عند السيدة فاطمة الزهراء .

لقد بعثت الأمسية الأمل في انتصار الحق والتغلب على الظلم ودحره.. وأعطت بارقة ثقة قادمة من عالم الإسلام وسيرة رجال ونساء سجلوا صفحات من نور في كتاب التقوى والإيمان ونصرة الحق والتكاتف مع العدل ضد البغي والعدوان .

ظاهرة مكسيكية مصرية

تتف قاعات أكاديمية الفنون البريطانية فى قلب العاصمة، تطل على المشهد الثقافى والذى فى تواصل مستمر مع رحلة الإبداع والاكتشاف المتواصل لتيارات شابة جديدة مع التمسك الدائم بالإبحار مع الذاكرة الفنية للإنسانية فى عدة بيئات من الشرق والغرب.. والرويال أكاديمى تفتح أبوابها على مدار العام لمناسبات مهمة للغاية تقرأ فى صفحة الفن الأوربى والآخى الآسيوى، وترحل إلى عصر النهضة وتوقف عند المدرسة الألمانية. وتقوم باستعراض تيارات الرومانسية والواقعية والتقاليع الحديثة والمعاصرة.

ودائماً «الرويال أكاديمى» هى محطات الزيارة المتواصلة للبحث فى أرسيف الإنسان وقراءة الأوراق الفنية الدالة على مراحل التاريخ ونمو الوعى وعصور الأزمات والانفراجات والطفرات المختلفة، وعنصر الفن يملك أدوات التاريخ للشعور والوجدان وخلايا العقل ومكونات الثقافة. وقد استضافت الأكاديمية خلال الآونة الأخيرة المعرض الشامل عن حضارة المكسيك القديمة وتأمل فى صفحات هذا الكتاب للوقوف على طبيعة الأفكار التى كانت قائمة قبل العصر الحديث وفى مرحلة وسيطة قبل اعتناق المكسيك للديانة المسيحية.

وعمل القائمون على المعرض على إحاطته بعشرات الاحتفالات واللقاءات الفكرية والفنية لإعطاء صورة عن حضارة قديمة نمت فى أمريكا الجنوبية وتأثرت إلى حد ما بالثقافة المصرية التى كانت موجودة فى العصر الفرعونى، والسماة المصرية واضحة فى بناء نموذج الأهرامات المكسيكية وطبيعة صناعة التماثيل والاهتمام بالتعامل مع نظام الكتلة الصخرية. وتسجيل المناسبات المختلفة على جدران المعابد القديمة.

ورغم تميز هذه الحضارة القديمة غير أنه خلال التجوال فى قاعات العرض كان النموذج المصرى القديم يطرح نفسه حيث التائق الشديد والبلاغة الكاملة والنظر إلى أرجاء الكون ومحاولة فك غموضه وأسراره. وثراء الحضارة المصرية هو سبب الاعتناء الشديد بها حتى الآن نتيجة عمق التفكير وتعدد مستويات الاجتهاد، ووجود إمبراطورية ممتدة لها نظامها السياسى وعقيدتها وإنجازات فى الفن والعمارة وبناء صروح الأهرامات بهذا التفوق البارز.

وتبدو حضارة المكسيك القديمة بجوار الأخرى المصرية متواضعة فى كل شىء. ولا تجوز المقارنة على الإطلاق. لكن عتلى لم يكف عن القيام بهذه المهمة خلال التجوال فى قاعات الرويال أكاديمى حول معرض المكسيك الذى طرح هاجس هذه الحضارة على الناس

والمؤسسات التعليمية والحضارية والأكاديمية ولدى مصر القديمة فى بريطانيا معارضها الدائمة فى قاعات المتحف البريطانى مع اهتمام بالغ من برامج التلفزيون البريطانى بأحقاب المرحلة المصرية فى كتاب التاريخ البشرى.

وقد أعطى اهتمام الأكاديمية البريطانية بحضارة المكسيك طبيعة هذه المؤسسة التى تقف خلفها فلسفة مهمة فى إنعاش الذاكرة الإنسانية المعاصرة بالعودة دائماً إلى تأمل المراحل المختلفة فى تظاهرات شاملة ترتبط بالفن والثقافة والحوار المفتوح. وتعد إقامة المناسبات الفنية فرصة لتقديم حملة كبرى تتناول كل شىء تقريباً حول الظاهرة من بُعد اجتماعى وتاريخى وفنى وثقافى.

وكان لمعرض المكسيك فرصة للتعامل مع ملفات هذه الحضارة وقراءة الفصول المختلفة فى كتابها المعاصر، والاهتمام بالتاريخ يدفع نحو الحاضر. وهذه طبيعة المعارض التى تستند إلى رؤية ثقافية، ولا تركز فقط على عرض بعض اللوحات والتماثيل، ومنهج الأكاديمية البريطانية هو إثارة النقاش والبحث ودعوة الخبراء وأهل الاختصاص للحديث المتواصل بالمعلومات والبيانات.

وإذا كانت المكسيك سيطرت خلال عدة شهور على المشهد الفنى والثقافى فإن العودة إلى كنوز مدينة «درسدن» الألمانية. شكل إطلالة مدهشة على مجموعة من اللوحات النادرة لعصور الفن الأوربي خلال أحقاب النهضة وبروز التيار الانطباعى مع اهتمام بالغ بالمرحلة الكلاسيكية. وتأمل لوحات المعرض يشير إلى أن أوروبا تعيش ثقافة واحدة، فقد تختلف اللهجات واللغات، لكن القلب واحد تقريباً، كما أن خلايا الوعى متشابهة، ومجموعة «درسدن» متألقة فى حفظ لوحات لأعلام الفن التشكيلي الأوربي بهذا الخيال والرصد والاهتمامات العامة بتسجيل فنون العمارة فى مدينة أوربية نهضت فى عالم الصناعة وشهدت الراج الاقتصادي وحققت هذه الدرجة من النمو قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية وصعود النازية.

وتكشف اللوحات وسجلات الفن أن أوروبا شهدت نهضة دخلت إليها جميع البيئات فى القارة لذلك كان النمو بالمعدل نفسه فى باريس ولندن وأمستردام وغيرها من عواصم الحضارة فى هذا المكان من العالم، ودرجة التحضر جعلت من السوق الواحد الامتداد أمام لغة الفن والإنتاج الثقافى والموسيقى. ولم تكن اللغة الفن والإنتاج الثقافى والموسيقى، ولم تكن اللغة عثرة على الإطلاق، إذ إن الدول الأوربية، كانت ولا تزال تملك المواد نفسها فى تقارب مثير للتأمل.

ويعود إلى هذه الحقيقة رواج الفن وكتب الثقافة داخل القارة حيث لا توجد مدارس تمنع التواصل. كما أن الرقابة بشكلها الاستبدادى غير موجودة وأتاح هذا الوضع نمو المذاهب فى

داخل بيئة واحدة تتأثر بما تحدثه مدارس جديدة فى الفن والموسيقى والثقافة بشكل مدهش وملحوظ للغاية.

وخلال متابعة وجود لوحات مجموعة «درسدن» كان الحوار حول هذه الخصوصية، مما جعل الاقتراب من إطار وحدة أوروبية فى العصر الحديث ممكناً وواقعياً. والعالم العربى رغم أن لغته المشتركة وعاداته المتقاربة فإن موضوع الوحدة متعثر. لأن النهضة لم تحدث فى جميع الأقاليم بشكل واحد، فقد حدثت فى الدول المطلة على المتوسط وتعثرت فى بيئات العمق وتوقفت فى مواقع صعبة لم تكن مهيأة لاستقبال رياح التغيير.

وإذا كانت أكاديمية الفنون البريطانية تثير بمعارضها الجدل الحضارى والمناقشات حول الأنا الأوربية والأخرى الآسيوية والإفريقية، فهى مهتمة بجانب آخر هو اتباع الحداثة العصرية ونماذج الانفتاح على البيئة الشابة الجديدة، ودائماً معرض الصيف السنوى هو هذه الأفكار كتبها بلا قيود أو موانع أو متاريس.

وتتحول قاعات الرويال أكاديمى فى فصل الصيف لاستقبال مئات الأفكار الجديدة فى رحلة للانطلاق التى تتعش بالحرية وسقوط القيود والاهتمام بحيوية الفن. والصيف يفتح أبواب الاجتهاد والانطلاق، ويمثل المعرض السنوى فرصة حقيقية لعشرات المدارس الجديدة التى تستغل جو الحرية وتأتى بأفكار مبتكرة للغاية قد تصدم العين للوهلة الأولى، لكن التعود عليها يجعلها فى النهاية مقبولة ومسموحاً بها على مسرح الفن البريطانى.

وقد انطلقت من هذا المعرض خلال السنوات الماضية عشرات الأسماء التى جاءت بأفكار جديدة تحمل الصدمة وتنقل الرغبة الشاملة فى التجديد وعبور حاجز الجمود والتقليد. وخلال معرض الصيف تتخلى «الرويال أكاديمى» عن ثياب الشتاء وترتدى ملابس الصيف بألوان زاهية ترحب بالجديد وتفتح أمامه المجال للاحتكاك بالرأى العام والصحافة.

والتجديد يحرك الحياة ويقدم دائماً له المستقبل، والفنان الأكثر شعوراً بهذه اللغة يبحث باستمرار على ما هو قادم ولديه طاقة للنظر إلى الغد بروح مشبعة بالاكشاف.

وجميع مظاهر حياتنا مرتبطة بلغة التجديد التى كانت همّ الفنان فى مراحل الحياة المختلفة، وقد عرض التلفزيون البريطانى حلقة وثائقية عن الرسام الإيطالى دافنشى صاحب الموناليزا وغاص البرنامج فى عالم الاكتشافات والبحث فى ملف الاختراعات المختلفة. وكان الفنان ينطلق من طاقة الإبداع التى تدعو إلى البحث والتأمل وعبور جميع الحواجز.

وعالمنا المعاصر يدين لأسلوب بيكاسو ودالى وإذا توجهت إلى فنادق حديثة فى لندن وجدت أنها تعتمد على أفكار الفنان الغرب الأطوار. والذى جرب عالم الحداثة فى لوحات تعد شاهدة على روح الابتكار.

ويضم معرض صيف هذا العام العشرات من اتجاهات جديدة شابة ومفامرة، فيها روح الابتكار الجميل والرغبة فى العبور نحو أزمنة مختلفة بتخيل شكل الفن والإبداع وصور الجمال.

والحرية مسئولة عن الابتكار فلا توجد رقابة وهيئة الأكاديمية لا تتدخل فى اختيارات الفنان، كما أن رأى العام لديه سماحة تعود إلى تجربة طويلة فى أن إفساح المجال للإبداع يثرى المجتمع والخبرة الإنسانية، ولندن فى الصيف غير معنية بفرض القيود على الفنان وتركه يفعل ما يشاء.

وفى النهاية الحكم لحاسة التذوق والموهبة والقدرة على البناء فى ساحة الفن حيث لا توجد وساطة ولا نفوذ إلا للإبداع الجميل والتميز، وكنت خلال التجوال فى قاعات «الرويال أكاديمي» أتففس هذا المناخ وأشعر به، وأنه وراء جميع مظاهر النهضة فى أوربا المعاصرة. إن الحرية لا تعنى الانحلال أو الانهيار وإنما هى هاجس التألق والابتكار والشعوب التى تعيش تحت نير العبودية هى التى تعانى الانحلال والانهيار. إن الفن العظيم يجدد خلايا المجتمعات، ونسيم الحرية هو الهواء الصحى الجميل الذى يعطى العقول والأجسام القدرة على الحياة.

ويضم معرض «الرويال أكاديمي» الجناح الخاص لتصميمات العمارة الحديثة فى ساحة مزدحمة بنماذج نهج معمارى ينتشر فى العالم وينمو بشكل يتسع لأسماء مهمة فى الشرق والغرب معاً.

وتعطى العمارة الحديثة الاهتمام البارز بلغة الفن، ونهج الابتكار الجميل فى ظهور هذه اللوحات المعمارية الرائعة التى تطل على المشهد العالمى فى لندن وعواصم أخرى عالمية يدخل إليها الشرق الأوسط بأكثر من نموذج متفوق فى إبداع معمارى يكشف لوحة التميز. وقد انضم المعماريون إلى قائمة الفنانين فى نهج الإنشاء والإبداع وتحويل صورة فنية مدمشة إلى عالم ينبض بالحياة فى مختلف البيئات.

وأهمية هذا الجناح الاطلاع على الأفكار الجديدة فى عمارة الألفية المعاصرة والخروج من خنادق الأسمت نحو عالم جديد أكثر رحابة وإنسانية. والمعروف أن ولى العهد البريطانى الأمير تشارلز يشجع على نمط من العمارة له البعد الإنسانى، ويستشهد دائماً بنظرية المهندس المصرى الراحل حسن فتحى، الذى أسس فى المعادلة المعمارية الجديدة منهج الاحتواء الإنسانى، وأن العمارة لها وظيفة إنسانية لتلبية حاجات البشر الاجتماعية والنفسية. وقد نما خلال الستينيات منهج العمارة الأمريكية المسلحة والأسمنتية. وكان من نتائج سيادة هذا النموذج انتشار القبح فى عواصم العالم خصوصاً لندن.

ويعطى فن العمارة الحديد عشرات من نظريات الابتكار ودائماً أتوجه لمكتبة بارزة فى

منطقة البيكاديللى للتعرف على كتب تحتفى بهذا الأسلوب الجديد الذى كان من أثره إعطاء حيوية لمواصم جديدة مثل لندن، ويقف المصمم المعمارى السير نورمان فوستر على رأى اتجاه الحدائة المعمارية نتيجة جراءة أفكاره التى كانت فى السابق تعبر عن تمرد غير مقبول. وأصبحت الآن علامة أكثر تطورًا على فن يحدد خلايا الحيوية البشرية.

ومعرض فصل الصيف فى «الرويال أكاديمى» مناسبة مفتوحة على مدارس التجديد بكل زخم الابتكار، ويشارك فى التظاهرة المئات من اللوحات مع نماذج لنحت من مدارس أوربية تحظى بالتكريم فى لندن. وتبدو العاصمة البريطانية خلال أيام المعرض بؤرة الابتكار الأوربي وإنها النافذة الأكثر حرية فى الترحيب بعالم جديد للغاية من اللوحات والأفكار التى تبدو غريبة وجريئة وتشطح فى عالم الخيال والبعد عن الواقعية.

وسمة التحريك فى أوربا إفساح الطريق لأهل الابتكار منهما كانت الأفكار غريبة وتصدم العين للوهلة الأولى والتعود على هذا الطريق هو منهج الاستمرار فى تألق وحيوية.

وقد تابعت حيوية لندن وأدركت كيف أنها سرقت الكاميرا من باريس وروما بسبب إفساح المجال أمام الخيال والتجديد بلا قيود أو موانع أو سدود تتف أمام العقل.

ونهضة أوربا تعود إلى الحرية التى سمحت بهذا التدفق العجيب لعشرات الأفكار الجريئة التى تتخطى حاجز المعقول والتقليدى.

مدرسة الأزهر الشريف

تفتح بريطانيا الديمقراطية أبواب التعبير أمام ثقافات متنوعة ومتعددة فى مجتمع يشجع على الحوار وفتح نوافذ الاجتهاد فى ظل القانون الذى يسمح بالرأى الآخر، ويضمن الحماية له. وقد استفادت الأقليات من هذه الروح فى بناء مؤسسات مختلفة تعكس حضور الديانات والثقافات مع مساندة قوية من جميع الأحزاب عدا تلك العنصرية التى ترفض الوجود الأجنبى لجاليات عرقية ودينية.

ولا بد من ذكر دور حزب العمال الحاكم فى تعميق هوية التعدد داخل بريطانيا ومساندته للأقليات وتوفير الحماية لها.

وتاريخ حزب العمال خلال مائة عام هو مع التعدد وتبنى الأقليات وتشجيع ممارستها للعمل السياسى ودفعها نحو البرلمان، وقد استطاع الحزب فى السنوات الأخيرة مساندة أكثر من عضو مسلم فى مجلس العموم البريطانى وتصعيد آخرين إلى مجلس اللوردات، منهم امرأة موجودة ضمن النواب اللوردات فى خطوة مهمة وبارزة.

جاء حزب العمال الحاكم إلى السلطة بأفكار جديدة قبل تحولات الحادى عشر من سبتمبر التى كان لها تأثير سلبى على بعض الأجنحة التى قادت الحركة الراديكالية الجديدة التى كان من نتائجها تحريك الكثير من الملفات والقضايا.

وقد تبنى تونى بليير حركة كفاح حزب العمال فى تصعيد النساء إلى مناصب وزارية مع إنجاز الإصلاح الدستورى وترتيب أوضاع الجاليات بالتعبير عن نفسها فى قلب دائرة البرلمان. وكان صعود الحزب على أنقاض حكم المحافظين دفعة قوية للغاية فى اتجاه ثورى مهم للغاية فى ترجمة التغيير قبل المسار الديمقراطى وبانقلاب يدعمه صندوق الاقتراح. وكان حكم المحافظين وصل إلى مرحلة تدهور بظهور الأفكار العنصرية والانحراف نحو اليمين المتعصب بعد نهاية ثورة مارجريت تاتشر بخروجها من السلطة فى عام ١٩٩٠ إثر التمرد ضد قيادتها والذى قاده وزير الدفاع الأسبق مايكل هيزلينان.

ومنع حزب المحافظين عندما كان فى السلطة استمرار حركة المجتمع والاعتراف بالمتغيرات الجديدة فى مقاطعة ويلز، وفى قلب اسكتلندا، وعبر الاحتياجات السياسية والإدارية للعاصمة لندن، وحالة الجمود للفكر المحافظ، تولد عنها نمو الاتجاهات المتطرفة ضد الأقليات والثقافات التى تمثلها.

وقد اجتاحت حزب العمال الجديد المحافظين في انتخابات عام ١٩٩٧ بأفكار متطورة للغاية، كان من نتائجها المباشرة انتخاب البرلمان في اسكتلندا، عبر الإصلاح الدستوري، وتمت عملية انتخاب المجلس النيابي الخاص في ويلز، مع ترتيب أوضاع أيرلندا الشمالية، ثم دعوة لانتخاب عمدة منتخب للعاصمة البريطانية.

ودخل توني بليز البرلمان البريطاني بأكبر عدد من النائبات البريطانيات، يعكس وجودهن نمو نزعة الاستقلالية والتعليم ودخول المرأة حقل العمل في الحياة العامة، ورافق دخول النساء تجسيد لأقليات مختلفة، وكان لذلك أثر صعود عدة نواب مسلمين إلى قمة البرلمان داخل مجلس العموم واللوردات، وعبر وزير الخارجية آنذاك روبن كوك عن مجتمع بريطاني جديد يقوم على تعدد الثقافات وازدهارها ونموها داخل المجتمع البريطاني.

ويمكن القول إن التنوع الثقافي أحدث نوعاً من الثراء للحياة البريطانية عبر هذا العمق الواضح وحياة مزدهرة بثقافات من الشرق والغرب معاً حولت لندن العاصمة إلى مكان عالمي يضم العشرات من الطوائف وحضارات الشعوب المختلفة.

وترى في لندن جاليات من مختلف أرجاء الكون تعيش في سلام وتعمل في ظل ضمانات القانون وحماية المجتمع لهم، وعندما هبّت عاصفة الحادي عشر من سبتمبر حاولت أحزاب متطرفة الاعتداء على المسلمين، غير أن الأمن وقف ضدهم بصلافة وإصرار في تطبيق القانون الذي يرفض حملات الكراهية والتحريض على العدوان.

الديمقراطية البريطانية تسمح بوجود الجميع وتوفر الحماية أمام الأقليات لممارسة الشعائر الدينية في جو من الضمانات الكاملة، وقد استفادت الدعوة الإسلامية من هذا المناخ فتوسعت بشكل مدهش في إقامة المساجد والمراكز الإسلامية في كل مكان، حتى يقال: إن عدد المساجد في بريطانيا وصل إلى الألف مسجد مع افتتاح المدارس والأكاديميات الإسلامية، ويلعب الدعاة المصريون دوراً بارزاً في التوجيه الإسلامي الصحيح، بينما حاولت بعض الاتجاهات مغامرة اللعب في هذا الميدان بشعارات متطرفة ضارة بالإسلام والمسلمين وتحرض عليهم المجتمع البريطاني كله.

إن استمرار العلاقة الطيبة مع المجتمع البريطاني ضرورة حيوية للمحافظة على تقاليد ديمقراطية عريقة استفاد منها الإسلام والجاليات الإسلامية المختلفة في بريطانيا، والفكر الإرهابي والغلو، والعمل على استمرار أسلوب الكلمة الطيبة والتعامل مع المجتمع البريطاني بعملية تذكر فضله وتشجيعه للعمل الإسلامي.

وقد أصبح الإسلام علامة مهمة في بريطانيا، وتتعرف جميع مؤسسات المجتمع بتبني الدين وثقافته، وقد اختارت الملكة اليزابيث الثانية خلال الاحتفالات بعيد التنوير زيارة لمسجد شمال

لندن في دلالة متميزة على احترام الإسلام وأنه يدخل ضمن عناصر وجود المجتمع البريطاني. وتحرص الحكومة البريطانية على المشاركة الدائمة في احتفالات المسلمين بالأعياد والمناسبات الدينية، ويختار رئيس الوزراء توني بليز حضور هذه اللقاءات مع وزير الخارجية جاك سترو، والجمالية الإسلامية تمارس حقها في التعبير عن رأيها في قضايا مختلفة، ويسمح إرث المجتمع الديمقراطي بهذا التحرك في ظل تقاليد ثابتة، هي وراء ازدهار الكيان البريطاني.

إن الديمقراطية لديها قدرة على البناء والتصحيح وعبور السلبيات والقرارات الخاطئة، وتستطيع الدول الديمقراطية أن تعالج دائماً مواقف التي تم الاندفاع فيها بلا دراسة أو تمهل، وقد أعطت بريطانيا تجربة مهمة خلال السنوات السابقة مع صعود حزب العمال الجديد بأفكاره المتطورة، غير أن أحداث الحادى عشر من سبتمبر انعكست على مواقف الحزب نتيجة قناعات توني بليز الخاصة وتحالفاته مع الرئيس الأمريكى جورج بوش والجمالية الإسلامية الكبيرة مع الحلف الديمقراطى العريق، وعليها دائماً التمسك بالقانون والشرعية ومعارضة الغلو والكراهية والالتزام بجوهر الدين، الذى يدعو إلى التعاون والتكامل لمصلحة البشرية وازدهارها.

وتعطى مدرسة الدعوة الإسلامية المصرية الطريق السليم فى الحوار مع الآخرين، ولعل د. زكى تبرى عالم الدين المصرى خير مثال لهذا الطريق الواضح القويم الذى يحض على المحبة ونبذ الكراهية، واستطاع بدوى بالحوار والمناقشة بيان الإسلام الصحيح دون غلو أو تطرف أو إرهاب، والمذاهب الهدامة التى تسلتت إلى الدعوة همها شقاء المسلمين ببث الفرقة والكراهية. لقد عاش المسلمون فى بريطانيا خلال السنوات الأخيرة فى نعمة ديمقراطية لا بد من المحافظة عليها بالاندماج فى المجتمع البريطانى وتقدير ثقافته والاعتراف بأنها تترك الآخرين يمارسون حياتهم دون التدخل منها. إن المجتمع البريطانى متسامح ولا بد للمسلم أن يمارس التسامح بدوره إزاء هذا المجتمع وعدم التحريض عليه.

لقد تركت الديمقراطية البريطانية المجتمع الإسلامى بنشط كما يشاء، ويطلع الكتب ويصدر الصحف وقيم المراكز الإسلامية، ويشيد الفضائيات المختلفة فى مناخ من حرية الرأى يعبر عن إرث عظيم يشهد للتجربة الإنسانية بالنضج، والحوار مع هذا المجتمع يتم عبر قيم صحيحة تعمق من هذا الاتجاه وترفض تيارات العنف بمختلف أشكاله، وتعلن أنها لا تعبر لا عن الإسلام ولا المسلمين.

إن الإرهاب كارثة حقيقية على المجتمع الإنسانى، والتصدى للظاهرة واجب أهل الإيمان والديمقراطية.

لقد توسع المسلمون في تأكيد ثقافتهم في بريطانيا من خلال وجود عريض داخل المدن والأقاليم البريطانية المختلفة، وضمنت الديمقراطية هذا التمدد والترحيب به ومساندته، وأذكر كلمة لوزير الخارجية الحالي جاك سترو قالها مع بدء توجه بعثة الحج البريطانية إلى الأراضي المقدسة، لقد اعتمدت وزارة الخارجية مبلغ ٣٠ ألف جنيه أسترليني لمساندة البعثة مع دعم مادي رمزي.

ولفتت الثقافة الإسلامية أنظار المجتمع البريطاني لأنها تدعو للسلام النفسى والتقوى والبعد عن الرذيلة، وقد جذبت الرسالة شخصيات بارزة في المجتمع البريطاني مثل مطرب البوب السابق كيت ستيفن، الذى تحول إلى الإسلام وأطلق على نفسه الاسم الجديد يوسف إسلام، وقد دخل في الدين الحنيف المثبات الذين جذبهم السلام الإسلامى إلى العقيدة. بينما ينفر خطاب الإرهاب الآن مساحة عريضة بسبب أخطاء جماعة الغلو التى تربط الإسلام بطريقة غير صحيحة بالتطرف والتعصب واستخدام العنف.

إن مصلحة الجالية الإسلامية إبعاد هذا التطرف عن الساحة البريطانية حيث يتمتع فيها الجميع بالأمن والسلام والاستقرار فى ظل قيم الديمقراطية التى توفر الأمن والحرية للجميع. ومن حق المجتمع البريطانى علينا أن نرد له هذا الجميل الديمقراطى بتأكيد أن الإسلام يميز هذه التقاليد ويتصدى لمن يعتدى عليها. إن بريطانيا حققت ديمقراطية ثابتة بفضل كفاح الرجال عبر سبعة قرون كاملة، وكان من نتائج هذا الإرث الترحيب بالإسلام والمسلمين والعمل معهم لتوفير الأمن والاستقرار لهم، وكان من نتائج سياسة الغلو تربية عدة أجيال جديدة على كرامة هذا المجتمع ورفضه والانتماء إلى دوائر متعصبة ضد الحوار والنقاش ومد جسور التفاهم.

ومن الأهمية عودة أسلوب الدعوة إلى تراث أزهر مصر بكل قيم الإسلام الحقيقية التى ندعو إلى المحبة والعطاء والحوار واحترام الديانات الأخرى، وأفضل هدية من مصر إلى بريطانيا مجموعة الدعاة المصريين فى المراكز الإسلامية يدعون إلى عقيدة الله فى تسامح ملئ بالحكمة والنور والهدى الإسلامى.

وكلما التقيت مع رجال الدعوة المصرية آمنت أن رسالة مصر دائماً هى المحبة والتفاهم والحوار، والاتصال مع الآخرين، ومصر لم تعرف التعصب أبداً الذى هو دائماً يند من الخارج وتصده الطبيعة المصرية المتسامحة التى تقف فى منطقة الوسط بخبرة السنين والأجيال وحكمة الأيام.

أكسفورد نقلت تجربة الأزهر

حض الإسلام على العلم والمعرفة.. وكانت الكلمة الأولى التي نطق بها الوحي إلى الرسول محمد (ﷺ) هي «اقرأ» وترجمة هذه الدعوة رسالة إسلامية واضحة ومباشرة تدعو إلى القراءة والعلم اعتماداً على منهج قرآني يربط العلم بمعرفة الخالق والامتثال لتعاليمه والدعوة إلى شريعته السمحة.

حدد القرآن طبيعة المعرفة القرآنية من أجل إعمار الأرض والاستفادة من العلوم المفيدة وطلبها والاطلاع عليها، ودعا رسول الله ﷺ إلى طلب العلم ولو في الصين، وقد شيد الإسلام منهج المعرفة وحدد القرآن الكريم هدف المجتمع الإسلامي في بناء أسس حضارة إسلامية تتهل من المعارف والعلوم في انفتاح حقيقي لا يعرف الخوف والرهبة من ثقافات الآخرين أو تراثهم، وحقق المنهج الإسلامي نهضة في مجتمع خرج من بيئة صحراوية محدودة، غير أن دعوة القرآن أقامت حضارة كبرى تقوم على المعرفة والاطلاع والتشييد العمراني في المناطق التي فتحتها الدعوة الإسلامية، وقد انتقلت حضارات من نهج قام على ثقافات رومانية وفارسية وملل ونحل مختلفة لتدخل إلى ساحة العقيدة الإسلامية التي أسست حضارة ضخمة وتوسعت في التأثير البالغ على تيار ثقافي عريض كان قائماً قبل الإسلام ويشرح الدكتور سعيد عاشور في كتابه «المدينة الإسلامية» هذا التطور البالغ في نمو نهج إسلامي قرآني علمي كان وراء نهضة العلوم والمعارف التي برزت داخل قلب حضارة الإسلام. وقد ظهر علماء من مختلف فروع العلوم الإسلامية أنتجوا فكرهم داخل بناء المدينة الإسلامية بصرف النظر عن انتماءات قديمة لهذا الجيل من العلماء الذي نشأ من أصول مختلفة تشبعت بثقافات مغايرة للعقيدة الإسلامية قبل حصولها على هذه العوالم المختلفة من حضارات فكرية.

حضارة الإسلام في قلب أوروبا؛

وقد تكونت لدى العالم الإسلامي عدة بؤر حضارية لمعت على أرض الشام ومصر والعراق وآسيا الوسطى وعبرت الجبال والبحار نحو إسبانيا، حيث تأسست حضارة إسلامية ضخمة تعبر عن نهضة حقيقية بينما دخل العالم الغربي في القرون الوسطى في حالة ظلام بسبب عدا الكنييسة للعلم ورفضها للاجتهاد العلمي وفرضها القوانين المشددة على عمليات الفكر والاجتهاد والتأليف الحر.

وبينما كانت أوروبا غارقة في ظلام العصر الوسيط كان العقل الإسلامي ينتهج فكراً إسلامياً في جميع مجالات المعرفة الإنسانية وكانت حواضر حضارة الإسلام في دمشق وبغداد والجزيرة العربية والأندلس والقاهرة تنتج فكراً يتعامل مع الواقع ويجاور العلوم في مجالات الطب والهندسة والكيمياء والمنطق وعلوم اللغة وبينما كانت أوروبا في كهف الجهل العلمي بعيداً عن الاشتغال بالعلوم بسبب موقف الكنيسة كان المسجد الإسلامي يقوم بدوره في بث العلم عبر الحلقات العلمية التي أصبحت منهجاً يميز التعليم الإسلامي الذي يقوم على فكرة الأستاذ المحاضر الذي يتناول علماً معيناً ويتحلق حوله التلاميذ في حلقات علم كانت في الأساس لعملية النمو المنهجي للتعليم الجامعي وكان الأستاذ الفقيه يبحث مع تلاميذه علوم الفقه واللغة والبيان ويخصص كل يوم عدة ساعات للحوار حول ما يواجهه من أفكار ويعرضه من نصوص، وكان كل فرع من فروع المعرفة يرتبط بأستاذ معين متخصص في المادة التي يبحر فيها مع الحلقة الدراسية التي تقوم حول منهجه وطريقة بحثه العلمي.

دور علماء المسلمين؛

وقد اشتهرت حلقات علمية عبر تاريخ المدينة الإسلامية في العصر الوسيط الذي هو مرحلة الانطلاق الحضاري الإسلامي، وحفظ التاريخ دور علماء الإسلام في تبنى مناهج المعرفة في مختلف المجالات فبرع الرازي في الطب والشيخ ابن سينا في علوم المعرفة المرتبطة بالمنطق وعلوم النفس والطبيعة، ويذكر التاريخ عشرات من العلماء المسلمين الذين نبغوا في جامعات إسلامية نشأت على منهج القراءة والبحث والتدوين ومواصلة الاجتهادات في مجالات العلوم الطبيعية والمنطقية.

وبينما كان الغرب في سبات النوم الحضاري العميق كان علماء الإسلام يقتحمون مجالات العلوم الكيميائية والطبيعية وفروع العلوم الإنسانية من منطق ولغة وفلسفة، وقد استوعب «ابن رشد» فلسفة أرسطو بالكامل ونقلها وشرحها وانتقدها أيضاً، وعندما بدأ الغرب يتلمس طريقة نحو تراثه الإغريقي والروماني لم يجد سوى ترجمات علماء المسلمين وشروحهم المختلفة على هوماش الفكرين اليوناني والروماني.

ويقول د. الطاهر أحمد مكي في كتابه «مقدمة في الأدب الإسلامي»: «إن الإسلام دخل أوروبا لأول مرة من طرفها الغربي الجنوبي، أعنى شبه جزيرة أيبيريا، عام ٧١١م واستقر فيها تسعة قرون كاملة وأنتج حضارة عظيمة الأثر والخطر كانت وراء عصر النهضة الأوربية واجتاح المسلمون في أعوامهم الأولى جنوب فرنسا حتى بلغوا أريونة، وصار رباطيم على نهر ريدونة. غير أنهم ما لبثوا أن عادوا إلى داخل شبه جزيرة أيبيريا نفسها واستقرت حدودهم عند ما عرف بالثغر الأعلى وعاصمته سرقسطة.

وبلغ الإسلام جزيرة صقلية، وكان احتكاك الإسلام بها منذ أعوامه الأولى وامتد نفوذ الإسلام بعدها إلى ولايات جنوبى إيطاليا مثل: تارنتو ونابولى وسالرن وبارة وبلغ حتى أطراف مدينة روما نفسها.

وأمن معظم أهل صقلية بالإسلام، ويذكر د. مكى فى كتابه أن الرحالة الذين زاروا الجزيرة من عرب وأوربيين وجدوا أن المدينة كانت عامرة بالجوامع والمساجد، وفى بالرمو العاصمة وحدها ما يزيد عن مائة مسجد وفى مدينة البيضاء مائتا مسجد.

ويتحدث د. الطاهر أحمد مكى عن مظاهر المدينة الإسلامية التى أفرزت مجموعة من العلماء تأثروا بمنهج التربية القرآنية الذى أنشأ حضارة ضخمة، ويقول مكى: إن كثيرين من الذين تعود أصولهم البعيدة إلى النرس والإغريق أو القوط أو اللاتين لم يعودوا مجرد مواطنين عاديين، وإنما سوف تلتقى بهم أساتذة كباراً فى مقدمة أعلام الحضارة الإسلامية العالمية وإن عبروا عن ذلك بالعربية وحدها فأبو نواس كان فارسياً ومثله ابن المقفع محبى النثر العربى وسيبويه كما يدل عليه اسمه وهو من أكبر النحاة وابن سينا الفيلسوف. وكان البيرونى العالم من أصل إغريقى ومثله ابن الرومى الشاعر، وياقوت الجغرافى ومؤرخ الأدب.

لقد تغفل المنهج الإسلامى التريزى والتعليمى فى العرب خلال العصر الوسيط مع الفتوحات الإسلامية ونقل المسلمون منهجهم الذى يعد البدايات العلمية فى ترسيخ الحياة الجامعية الحديثة ويرى باحثون أن الغرب عندما بدأ يفيق من سبات عصر الظلام لم يكن أمامه سوى النموذج الإسلامى الذى انتقل إلى قلب أوروبا ذاتها خلال فترة الفتوحات.

ووجود أكثر من ثلاثمائة مسجد فى عاصمة صقلية مجرد إشارة على انتقال منهج تعليمى اعتمد على طريقة الحلقات والتدريس لمختلف العلوم عبر تعلق التلاميذ حول فقيه يشرح دروسه اليومية بعد أوقات الصلاة. وقد اكتملت العملية المنهجية التربوية الإسلامية فى قيام منابر علمية تقوم على أسلوب منهجى واضح يعبر عن نسق التعليم العالى لدى المجتمع الإسلامى.

ويرى علماء وباحثون أن جامع الأزهر الذى أقيم فى عام ٢٦١هـ/٩٧٢م أسس بدايات منهج التعليم العالى سواء من ناحية طريقة التدريس أو من ناحية الاتفاق على هذه المؤسسة التعليمية الإسلامية، فقد اعتمد علماء الأزهر فى تأدية رسالتهم الدينية والعلمية على موارد مالية متعددة من أهمها الأوقاف التى كان موقفها أصحابها على الأزهر حتى يستمر فى أداء وظيفته عبر العصور، ويقول كتاب تقرير «الحالة الدينية فى مصر»: إن سلاطين دولة المماليك البحرية اهتموا بالأزهر وأضيفت إليه مدارس مجاورة وزاد إقبال الطلبة الغريباء والمصريين على الدراسة فى الأزهر لدراسة العلوم الدينية الأمر الذى أدى إلى اتخاذ أروقة الجامع كمساكن يأوى إليها الطلبة الوافدون والمصريون.

ويقول التقرير: إن الأزهر اجتذب عددًا كبيرًا من الدارسين إليه نظرًا لاتساع مجال الدراسة فيه وتنوعها، ولأنه كان مفتوحًا للطلاب حتى للمسيحيين منهم حيث كانت تقدم لهم الدراسة والسكن والجرية بالمجان ودون تمييز، وهذا المنهج الأكاديمي أعطى الطالب حرية اختيار المواد التي يدرسها على يد شيخ متفقه في علوم معينة. وفكرة الدراسة المجانية ومنح الجرية للطلبة هي المقابل للمنحة الدراسية التي يحصل عليها طلاب الدراسات العليا في الجامعات الحديثة.

والأستاذ الذي يقوم بتدريس مادة معينة ويلتف حوله الدارسون في حلقة علمية هي البداية الأولى لنظام التخصص الذي نما بعد ذلك في مرافق التعليم الحديث، ويرى باحثون أن جامعة «همسورد البريطانية العريقة نقلت نظام تعليمها وهيكلها المنهجي من جامعة الأزهر ويقول د محمد مصطفى بدوي الذي كان يرأس قسم الدراسات الأدبية العربية بالجامعة: إن أكسفورد تأثرت بالتأكيد بما كان في الأزهر من منهج خاص يعتمد على توفير الحلقات العلمية ومنح «الجرية» بمعنى الإنفاق على الطالب وتوفير الوقت أمامه للعملية العلمية بالكامل.

ويضيف د. بدوي أن ما حدث من تأثير جامعة أكسفورد بالمنهج الأزهرى حقيقة تاريخية واضحة، إذ أن العلماء في الغرب عندما بدأ تأسيس المؤسسات التعليمية لم يجدوا أمامهم سوى المثل التعليمي الإسلامي الذي كان قائمًا في الحواضر العربية والأزربية نفسها. لقد أقام المسلمون في أوروبا لأحقاب طويلة ورسخوا منهجهم العلمى فى التدريس والبحث، وعندما بدأت عوامل النهضة الأوربية لم يكن أمام فكر أوروبا سوى النموذج الإسلامى فقاموا بنقله فى البداية ثم تطويره حتى ارتقت وترسخت مناهج الكليات العلمية فى الغرب.

والجامع الأزهر نشأ فى عام ٩٧٢م وجامعة أكسفورد مع نهاية القرن الثالث عشر، وكانت هناك تمهيدات مبكرة فى القرن الثانى عشر عندما تجمعت عدة عوامل فى مدينة أكسفورد لتمهد لإنشاء الجامعة مثل قرار فرنسا طرد الطلبة الأجانب من جامعاتها ومنهم الطلبة الإنجليز. وقد بدأت أكسفورد تتجمع فيها عوامل إنشاء أول جامعة إنجليزية حيث تعد الأقدم فى بريطانيا وأوروبا، وشهدت تطورات عديدة وتحولات منهجية إذ كانت قاصرة على أتباع المذهب الكاثوليكي ثم تعرضت لمتغيرات نتيجة تبنى إنجلترا للمذهب البروتستانتي.

وقد عاصرت الجامعة الحرب الأهلية التى اندلعت ما بين أعوام ١٦٤٢-١٦٤٩ والتى قادها كرومويل وحاولت الحركة البيورثانية إغلاقها بحجة أن التعليم الجامعى يتعارض مع المذهب الدينى للبلاد.

وتأثر منهج جامعة أكسفورد فى مراحلها الأولى فى ظل عوامل التنشأة بالأسلوب الذى اتبع فى الأزهر فى تخصيص أستاذ للمادة وحرية الطالب فى اختيار الحلقة التى ينضم إليها، كما أن

أسلوب «الجرابية» الذى طبقه الأزهر اعتمدته جامعة أكسفورد فى توفير المنح الدراسية العليا، ويقول د. مصطفى بدوى: إن الغرب اطلع على منهج الإسلام التربوى والتعليمى من خلال حركة الترجمة التى نقلت الأبحاث الإسلامية المختلفة التى ازدهرت فى الجامعات والمحافل الإسلامية التى نشأت فى قرطبة وغيرها.

ويضيف بأن الرحالة الغربيين قاموا بدور مهم للغاية فى الحديث عن أسلوب التعليم الإسلامى الذى كان مطبقاً ويجرى العمل به فى مؤسسات الأزهر.

وقد أعطت الحضارة الإسلامية نموذجاً أكاديمياً لانتفاخ عمليات التدريس والبحث ودور الأستاذ فى الارتباط بالدارسين والإشراف على أبحاثهم والدخول معهم فى حوار متصل حول منهج البحث والمصادر والنتائج التى توصل إليها الباحث خلال سنوات دراسته الطويلة على يد أستاذه والمشرف على بحثه..

وتتضمن سجلات التاريخ عدة وثائق عن طبيعة الأستاذ المشرف على الرسالة البحثية التى يقوم بها الدرس أو المجاور بلغة الأزهر ومناهج التعليم فيه.

وقد رسخ الأزهر منهجاً اعتمد على تراث إسلامى طويل، وتشعبت عمليات التراكم المنهجى داخل الأزهر خلال عصور مختلفة قبل قيام جامعة أكسفورد فى إنجلترا مع نهاية القرن الثالث عشر الميلادى.

والتشابه فى البدايات التعليمية داخل أكسفورد واضح مع منهج الأزهر فى نظام الحلقة التعليمية ونظام «الجرابية» والمنحة المالية حتى يتفرغ الطالب لبحثه العلمى ويقول د. مصطفى بدوى: إن هذه الطريقة التى نقلتها أكسفورد فى بدايتها كانت قائمة على تأثر بمنهج إسلامى تعليمى انتعش داخل الكيانات العلمية التى كانت قائمة فى حواضر العالم الإسلامى وأنتجت هذه الحضارة الضخمة.

وهناك من يحاول إنكار دور الإسلام أو فضله على أوروبا غير أن الباحث المدقق يرى عبر المقارنة والقراءة الموضوعية أن الحضارة الإسلامية لها الفضل على الحضارة الراهنة فى جانبها الإيجابى المرتبط بالعلم والمعرفة والاجتهاد وفتح نوافذ التنقيب العلمى، وهذه إشارة حول دور الإسلام فى العملية الجامعية قد ينشط اهتمام الحلقات الأكاديمية المعاصرة لتوثيق ما حدث وما تم نقله من منهج ورؤية وطريقة عمل ابتدعها العقل الإسلامى وتركها أمام الحضارة الإنسانية حيث إن الإسلام مسؤول عن كل الجوانب المضيئة فى عملها واتجاهاتها.. إن بحث وجه المقارنة بين أكسفورد والأزهر عمل علمى تفتح أبوابه فى مجال البحث عن الجذور واسترداد ما ينسب للإسلام من فضل وريادة بسبب التوجيه القرآنى العظيم الذى بدأ الدعوة بكلمة «اقرأ».

الداعية المصرى د. زكى بدوى

كرمت الجمعيات الإسلامية وهيئات ثقافية ودينية العالم الإسلامي المصرى د. زكى بدوى بلوغه سن الثمانين فى احتفالية مهمة تطرقت إلى إنجازاته فى ترسيخ مسيرة الإسلام فى بريطانيا وتعاونته مع جميع الجمعيات والمذاهب للدعوة إلى مقاصد الشريعة وأهدافها والبعد عن الغلو والتطرف وهما ليسا من أصول العقيدة وثوابتها.

وتكريم د. زكى بدوى هو الاعتراف بالمنهج الصحيح والعودة إلى الأصولية الإسلامية فى سيرة السلف الصالح التى تدعو إلى الله بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة.

وركزت كلمات فى الاحتفال بالمركز الإسلامى بلندن على سيرة الرجل وجهاده لرفع اسم الإسلام والدفاع عن قيمه وثقافة الإفتاء المرتبطة بمصلحة الناس وظروف حياتهم وتطورات الواقع وتغيره، خصوصاً العيش فى أوربا والحوار مع أديان أخرى وتأكيد قيم الاتصال واللقاء فى أسلوب الاحترام والتقدير لديانات الله والرسائل السماوية التى أرسلها الخالق العظيم إلى الأرض.

وأجمعت الشخصيات التى حضرت اللقاء على ضرورة تعزيز منهج الشيخ زكى بدوى لأنه ينطلق من صحيح الإسلام فى شرح ثوابت العقيدة وجعلها مع حاجات الإنسان، ترشد من سلوكياته وتدفعه نحو الطريق السليم.

وقد خاض العالم الإسلامى عدة معارك للدفاع عن التفسير الإسلامى للقرآن الكريم، عندما ركبت موجة متطرفة الخطاب الدينى وحولته إلى صراع ومواجهة مع الآخرين، وربط العقيدة بالتشدد، وهى رحمة للإنسانية.

وظل د. بدوى يدافع عن منطق الإسلام فى التصدى لهذه الدعوات الباطلة ورفض أسلوبها المتشدد الذى يدعو إلى مجابهة ورفض للآخرين، وتصور الإسلام فى نهج معاداة العصر ورفض أساليبه وأسلوب هذه المجموعات يقصى الدين الحنيف من ساحة الزمن ويقوى عليه الأعداء وينفر منه الرأى العام فى الدول الغربية.

ومن الأهمية تأكيد أن أسلوب د. زكى بدوى خلال أكثر من نصف قرن من الدعوة الطيبة جذب إلى الإسلام الآلاف فى بريطانيا حيث جذبتهم فضيلة الدعوة المحمدية بما تطالب به من نقاء النفس ونشر المساواة ومكافحة الرذيلة والاعتماد على أخلاق القرآن من مناصرة العائلة وترابطها.

وقد أثمرت الدعوة الطيبة انتشار راية الإسلام فى بريطانيا وتعزيز لفة الحوار مع الطوائف الأخرى، وأهل المذاهب.

وأقام الداعية المصرى هذه العلاقة التوية مع الحياة البريطانية فى قدرة على الحوار الجيد والعقلانى وتديم الإسلام باعتباره الحضارى وقيمه الدينية التى تتفاعل مع منطلق التطور وتستوعبه.

وقد جاءت الرسالة بعيق القيم الأخلاقية ولبناء حضارة تقوم على العلم والإيمان والاستفادة من الجهد الإنسانى وتطويره والقضاء على مجتمع الشرك والجاهلية الذى أفرز القيم الفاسدة من عدم العدل وغرور القوة وبطش النفوذ والثروة على حساب المجتمع كله. وجاء الإسلام ليقدم صيغة أخرى تقوم دائماً بفهم العلم وتشجيعه وزيادة حجم الحرية والتفكير والاجتهاد ومساندة حركة الحياة والتطور بشكل عام.

ومتابعة جهود د. زكى بدوى خلال أكثر من نصف قرن تؤكد تمسكه بأصول الدعوة وعدم التردد فى حماية الطريق الذى اختاره، وقد اشتدت عليه هجمة التطرف والفلو، تلك التى اجتاحت الساحة البريطانية وأصبح الإعلام يركز عليها لتصوير الإسلام فى شكل الإرهاب ونعميق العنصرية للهجوم عليه والتخويف منه، وزيادة جرعة الكراهية وتحفيز الجماعات العنصرية لاستثمار هذا الموقف لمعاداة الجالية الإسلامية.

وقد أعطى خطاب التطرف فرصة للهجوم على الإسلام فى وسائل الإعلام البريطانية التى استثمرت نجوم الخطاب غير الصحيح لأهداف سياسية وثقافية.

وقد تصدى الداعية المصرى لهذا الموقف الخطير، الذى جمع الرأى العام ضد ما تطرحه بعض الشخصيات من هجوم على الغرب وقضايا المرأة وأسلوب الحياة فى أوروبا.

ومنطق د. بدوى هو تقديم صورة الإسلام لإعطاء الصورة البديلة إذ إنه يحقق السلام النفسى ويدفع لاستقرار المجتمع ويدعو إلى عبادة الله، وطاعة رسوله.

وخطاب الوسطية الإسلامية هو الناجح دائماً فى جذب الناس وإقناعهم وجعل الدين بوصلة تهديهم إلى طريق الحق والإيمان معاً، فى رحلة البحث عن الهدى.

وأهتمت عدة صحف فى بريطانيا بتكريم العالم المصرى الإسلامى والحديث عن بلوغه سن الثمانين، وما حققه من جهد ممتاز فى بناء الجسور القوية فى بريطانيا بين الجالية المسلمة والمجتمع والطوائف الأخرى والديانات.

ويلعب د. بدوى دوراً بالغ الأهمية فى تدعيم الحوار بين المذاهب الإسلامية، وهى الدعوة التى تعود إلى شيخ الأزهر الراحل محمود شلتوت.

إن أعداء الإسلام فقط من يروجون لعداء المذاهب، وأصحاب الخير الإسلامى للدين

والأمة يعملون على تحقيق المودة الدينية لأن الأصل واحد، هو القرآن الكريم وقواعد الإسلام الخمس، ويقوم د. بدوى بجهد كبير في هذا الطريق، وهو دائماً يحرم على دعوة علماء الشيعة في لقاءات كثيرة وتربطه صداقات معهم.

وتمكن الداعية الإسلامي من طرح تفسيرات متطورة تستلهم روح كتاب الله والسنة الشريفة ومقاصدها في إعطاء الفتاوى المرتبطة بحاجات المسلمين والتسهيل عليهم.

وقد أدى عطاء الداعية الإسلامي المستمر إلى هذه البلورة الواضحة للتعامل مع واقع أحوال المسلمين في بيئة المهجر واستطاع بالجهد دفع وجود الجالية ليحتل مكانه في مجتمع تعددي يبدي الاحترام والتقدير للعقيدة الإسلامية. وأصبحت الاحتفالات البريطانية الرسمية يتم فيها تمثيل علماء الدين الإسلامي وقراءة القرآن الكريم.

وهذا الجهد المتميز في رحلة الدعوة وراء إنجازات كبرى تحققت خلال العمل والدعوة والحوار وبناء المساجد ومساندة المراكز الإسلامية والعمل الخيري والتعليمي.

وقد حاولت مجموعة الغلو والتطرف تدمير كل هذا الإنجاز بطرح خطاب الصدام مع الآخرين وتحريرص الإعلام البريطاني وتنظيم مسيرات استفزازية تقدم الصورة الخاطئة عن دين الرحمة والكلمة الطيبة.

وأدى خطاب الغلو إلى احتقان واضح، وتعريض صورة الإسلام للتشويه بتركيز الإعلام على شخصية واحدة وجعل أفكارها وتصرفاتها هي الإسلام!.

إن مسيرة د. زكي بدوى في بريطانيا هي صحيح الإسلام وغنوان لدين الحق بلا خصومة مع الآخرين ولا دعوة لاستخدام العنف أو التطرف لقد حققت الوسطية الإسلامية هذه الوثبة في شتوون الدعوة إلى الله والعدل الإسلامي، ومنطق الرحمة والهداية.

واحتفال الجمعيات الإسلامية ببلوغ د. زكي بدوى سن الثمانين هو الانحياز بقوة إلى منهجه وموقفه ونوعية الدعوة التي تنطلق من كتاب الله وسنة الرسول الكريم.

لقد درس د. بدوى في الأزهر الشريف وهو ابن هذه المؤسسة المدافعة دائماً عن الإسلام وتعاليمه بالحكمة والكلمة الطيبة، إن الغلظة في الدعوة تنمر الناس وقد طالب الله جل جلاله الرسول العظيم باستخدام الموعظة الحسنة لجذب الخيريين من بنى البشر وهذا طريق البناء والتراكم للوصول بالإسلام إلى جميع البشر.

ولا يزال الداعية الإسلامي مع بلوغه الثمانين في شرح الشباب بهذه الطاقة الروحية والاعتدال والإيمان بقيم الله التي تجدد الخلايا وتمنح الحيوية.

إن عطاء د. زكي بدوى لخدمة الإسلام والمسلمين لأكثر من نصف قرن علامات في طريق الدعوة لطريق الحق والإيمان.